مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

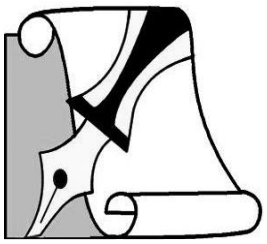

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

"إسرائيل" والزلزال السوري الكبير

1 – مدخل:

في 8 ديسمبر/كانون الأول 2024، انهارت الجمهورية العربية السورية، وانهار معها الرئيس السابق بشّار الأسد، وسط هجمات كبرى شنّتها المعارضة السورية (بقيادة هيئة تحرير الشام، وبدعم من جماعات متمرّدة أخرى، وخاصة الجيش الوطني السوري المدعوم من تركيا)، كفصل أخير من فصول الحرب الأهلية السورية. وكان الرئيس المخلوع بشّار الأسد قد تولّى الحكم في سوريا بعد وفاة والده حافظ الأسد في عام تحرير لبنان على أيدي المقاومة الإسلامية عام 2000. ولم يكن من المفترض أن يكون هو الحاكم المقبل، إذ كان شقيقه الأكبر باسل هو الوريث الأوّل؛ لكن الأخير توفّي في حادث سيّارة قرب دمشق عام 1994، ليخلفه بشّار في تولّي السلطة، حيث قاد البلاد في مرحلة مليئة بالتحديات والصراعات الداخلية والخارجية.

بدأت الأزمة السورية في عام 2011 بعد انطلاق ما عُرِف بـ "الربيع العربي" الذي اجتاح عدّة دول عربية احتجاجاً على الظلم والفقر والفساد والدكتاتورية، ومن ضمنها سوريا، حيث اندلعت احتجاجات واسعة ضدّ النظام في عدّة مدن سورية.

في البداية، شهدت سوريا بعض الانفتاحات السياسية والإصلاحية تحت عنوان ما عُرِف بـ "ربيع دمشق". لكن سرعان ما تحوّلت الاحتجاجات الداخلية إلى صراع مفتوح، بسبب التفجير الذي قامت به جبهة النصرة في العاصمة دمشق؛ وبالتالي القمع الشديد الذي مورس ضدّ المتظاهرين، والذي تحوّل إلى حرب أهلية دامية. ورغم محاولات الجيش السوري لاحتواء الوضع، استمرّت العمليات العسكرية، وتمكّنت المعارضة السورية في عام 2014 من السيطرة على مدينة حمص القديمة بعد اشتباكات عنيفة، ما اضطر مسلّحي المعارضة إلى مغادرة المدينة. وفي عام 2015، انضمّت روسيا إلى الحرب لدعم النظام السوري، حيث ساعدت القوّات الروسية في تغيير مجرى الحرب لصالح الأسد. وفي عام 2016، تمكّن الجيش السوري وحلفاؤه من هزيمة المعارضة في مدينة حلب. وفي عام 2017، أعلنت "إسرائيل" عن شن ضربات جويّة ضدّ مواقع حزب الله في سوريا، بهدف تقليص النفوذ الإيراني في المنطقة. لكن في أواخر عام 2024، كانت بداية النهاية، حيث تمكّنت الفصائل المعارضة من السيطرة على مدن إدلب، حلب، حماه، وريف حمص، ثم غيّرت خطتها باتجاه العاصمة دمشق.

في صباح الأحد 8 ديسمبر/كانون الأول 2024، وبعد معارك عنيفة في دمشق، أعلنت الفصائل المسلّحة سقوط حكم الرئيس السابق بشّار الأسد الذي فرّ لاجئاً الى موسكو. وبذلك، اختتم الأسد أحد أطول فترات الحكم في تاريخ سوريا، التي شهدت من قبل سلسلة من الانقلابات العسكرية المتتالية . وأعلنت تل أبيب في اليوم نفسه عن انهيار اتفاقية فصل القوّات مع سوريا لعام 1974، وانتشار جيش الاحتلال في المنطقة العازلة منزوعة السلاح في هضبة الجولان السورية، التي تحتل معظم مساحتها منذ عام1967. واتفاقية فصل القوّات (فض الاشتباك) كانت وُقّعت بين "إسرائيل" وسوريا في 31 مايو/أيار 1974، وأنهت حرب 6 أكتوبر/تشرين الأول 1973 وفترة استنزاف أعقبتها على الجبهة السورية. وتَقَرَّر في الاتفاقية انسحاب "إسرائيل" من مناطق جبل الشيخ كافة التي احتلّتها في الحرب، إضافة إلى مساحة نحو 25 كيلومتراً مربّعاً تشمل محيط مدينة القنيطرة وغيرها من المناطق الصغيرة التي احتُلّت في حرب 5 يونيو/حزيران 1967. وحدّدت الاتفاقية الحدود الحالية بين "إسرائيل" وسوريا والترتيبات العسكرية المُصاحبة لها، وأُنشئَ خطّان فاصلان، الإسرائيلي (باللون الأزرق) والسوري (باللون الأحمر)، مع وجود منطقة عازلة بينهما. ونقلت هيئة البثّ الإسرائيلية عن وزير الخارجية جدعون ساعر، قوله إن "الجيش الإسرائيلي سيطر بشكل محدود ومؤقّت على مناطق سورية قرب الحدود." وأقرّ الوزير بأن إسرائيل هاجمت جواً العديد من الأهداف في سوريا، وقال: "ضربت إسرائيل وسائل قتالية استراتيجية، وما تَبقَّى من أسلحة كيماوية وصواريخ بعيدة المدى كي لا تسقط في أيدي عناصر متطرّفة"، وفق تعبيره. ومنذ حرب 1967 تحتلّ "إسرائيل" نحو 1200 كيلومتر مربّع من إجمالي مساحة هضبة الجولان السورية البالغة 1800 كيلومتر مربّع.

2 – مخاض عسير وملامح تقسيم:

أدْخل التحوّل السياسي المُفاجئ والمُزلزل في سوريا المنطقة في مخاض عسير، يُخشى أن يصل الى مرحلة استعمال «المقص» الدولي من جديد لتقسيم بعض الدول واللعب بمعطياتها الجيوسياسية، ومنها سوريا والعراق. ولا شك أن لبنان، الذي لم يخرج بعد من الحرب التدميرية التي شنّتها "إسرائيل" عليه، بات يعاني وضعاً صعباً وخطراً. لكن ذلك، وفق التقديرات الأساسية، لن يؤدّي به إلى الاستسلام، أو أن يقبل بأية حلول تُفرض عليه، ومن شأنها أن تمس بسيادته. فالمقاومة الإسلامية فيه لا تزال تملك من القوّة التي تمكّنها من مواجهة أي خطر صهيوني، وأن ما جرى في سوريا لن يكون له التأثير الكبير على تسلّح المقاومة التي بات لديها القدرة الكافية

على تصنيع السلاح الأساسي الذي تحتاجه، خاصة أن غزة، وعلى الرغم من محاصرتها من كلّ حدب وصوب، ما تزال تقاوم بشراسة واقتدار على الرغم من كلّ الخسائر والتحديات.

وفي السياق، يؤكّد الباحث الإسرائيلي المُحاضِر في جامعة تل أبيب، الجنرال في الاحتياط، ميخائيل ميليشتاين، أن زلزال سوريا ما زال في أوجِه، وهو دعا إسرائيل للحذر من التدخل في شؤونها الداخلية من أجل صياغة واقع سياسي جديد فيها، داعياً للتعلّم من أخطائها، مُرجّحاً تقسيمها إلى كانتونات انفصالية. ويقول ميليشتاين، مدير وحدة الدراسات في الاستخبارات العسكرية سابقاً، إن الدراما السورية العاصفة تهمّش حقيقة أن إسرائيل تتعامل مرّة أخرى مع مفاجأة أساسية، بما معناه سيناريو لم يكن في الحسبان مطلقاً، أو أن احتمالات تحقّقه كانت قليلة. وقال : إن سوريا الآن تشبه، إلى حد بعيد جداً، العراق ما بعد سنة 2003، لكنها تفتقد إلى الصمغ الأمريكي الذي حافظ على تماسك الدولة هناك. كما توقّف عند فشل توقّع الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية أيضاً سرعة السقوط، وقال: "صحيح أن العاصفة في سوريا مختلفة في ظروفها وإسقاطاتها، مُقارنةً بإخفاق السابع من تشرين الأول/أكتوبر الفلسطيني، لكنها تعكس مؤشّرات كانت قائمة، ولم يتم التعامل معها بجديّة، ويجب تحليلها في العمق". وأضاف: المطلوب الآن، وبصورة خاصة لأن الزلزال لا يزال مستمراً في سوريا، هو أن نتأكّد من أننا نقرأ الصورة في العمق، ونتعرّف إلى طبيعة اللاعبين، وهو ما سيساهم في بناء سياسة واعية." وعلى هذا الأساس يقترح ميليشتاين: "أوّلاً، علينا فحص حجم الفجوة في فهم الواقع السوري لدى صنّاع القرار والأجهزة الأمنية (خاصة الاستخبارات)". وفي هذا الإطار، يجب القول إن التقديرات السائدة كانت تفيد بأنه رغم الضربات التي تلقّاها محور المقاومة، خلال الأشهر الماضية، وخاصة تلك التي تلقّاها "حزب الله"، فإن النظام السوري كان لا يزال مستقراً، داعياً للفحص مستقبلاً ما إذا كان من الممكن، أو إلى أي حد كان يمكن معرفة خطة هجوم المتمرّدين (الذين من الواضح أنهم ليسوا على رأس سلّم الأولويات الاستخباراتي اليوم)، ثم يجب فحص التقديرات بشأن دراماتيكية هذا الهجوم وإسقاطاته وسرعته. وتساءل الباحث الإسرائيلي: كمراقبين إسرائيليين آخرين، إلى أي حد جرى تحليل وفهم استخلاصات السابع من تشرين الأول/أكتوبر. ويستخلص: "يبدو أنه كان هناك فجوة في القضايا كافة. هذا الأمر يعزّز السؤال عن مدى فهم وتحليل استخلاصات إخفاق السابع من تشرين الأول/أكتوبر، وهل يمكن أن تكون حقيقة أننا واجهنا مفاجأة أساسية أخرى (رغم أنها مختلفة) تنبع من أنه على مدار 14 شهراً من الحرب، لم يجرِ أي تحقيق جديّ يسمح بمنع حالات مشابهة." ويرجّح ميليشتاين أنه لا يمكن ضمان عدم تكرار هذه الأخطاء مرّة أخرى، بعد المفاجأة السورية، ويجب التفرّغ فوراً لتحليل السيناريوهات

الممكنة، وطرح توصيات بشأن السياسة الإسرائيلية المطلوبة. وعملياً، "المفاجأة تجعلنا في وضع غير مريح بشأن قراءة الواقع والتقديرات المستقبلية." وطبقاً لميليشتاين، يجري الحوار الآن بشأن جذور "السابع من أكتوبر" في الإعلام، أو الأكاديميا. وحتى الآن، لا يرافقه تفكير ثوري جذري. وفي هذا الإطار، تبدو الاستخلاصات كأنها منسوخة من تقرير "لجنة أغرانات" عقب حرب 1973 التي تتطرّق، في أغلبها، إلى الأبعاد التنظيمية ومسارات اتخاذ القرار، مثل التفكير الجماعي، أو الحاجة إلى تفكير نقدي ذاتي، وهو ما يطرح العديد من التساؤلات عن التحقيقات، وإلى أي مدى تركّز على الفجوات والاستجابة الصحيحة. ويضيف: "في الحالتين، تعالت أصوات كثيرة في الغرب، وأيضاً في إسرائيل (الاستخبارات والإعلام والأكاديميا) يملؤها التفاؤل وتبشّر بـ "شرق أوسط جديد" على الأبواب. وكانت تحليلاتهم تشير إلى أننا أمام تشكّل منطقة مستقرّة وليبرالية. وفي الوقت نفسه، تمّ تجاهل تقديرات أكثر تشاؤماً، صدرت أساساً من الباحثين في شؤون الشرق الأوسط الذين ركّزوا على تحليل الميزات الأساسية الثقافية التاريخية للمنطقة، وأشاروا إلى تحديات واضحة تحوّلت إلى واقع كئيب، بعد مرور وقت قصير."

على هذه الخلفيّة، يقول ميليشتاين إنه رغم سقوط عدوّ مرّ مثل الأسد، وتلقّي محور المقاومة بقيادة إيران، الذي كان مُهيمناً على المنطقة خلال العقود الماضية، ضربات قاسية أدّت إلى زعزعته، فيجب الامتناع عن إبداء النشوة المليئة بالشعارات، والتي تتطور في أعقاب إنجازات المعركة في الشمال. ويضيف إنه لا يوجد في سوريا أي شيء يمكن أن نستمد منه الأمل بعد الأسد، حيث يدور الحديث عن مجموعات تمّ دمجها معاً، لديها حسابات مفتوحة ودامية (يمكن أن تندفع بحدّة، وخصوصاً ضدّ العلويين). وفي الخلفيّة، لا توجد أي ممارسة سياسية ليبرالية، أو مجتمع مدني، أو دولة قومية متماسكة. واعتبر الباحث أن سوريا متعدّدة المركّبات والتناقضات على صُعد كثيرة. ويضيف: "ليس هذا فقط؛ فالمتمرّدون لا يشكّلون معسكراً واحداً فقط، بل مجموعات لديها مصالح متناقضة وأفكار (بعضها جهادية)، تعيش في واقع يشهد كثيراً من التدخلات الأجنبية، ومن ضمنها طهران. وفي هذه الحال، لن يكون من المُبالغ فيه القول إن سوريا ستُقسّم إلى كيانات منفصلة، أو بشكل أكثر دقّة، ستتم مأسسة الوضع المفكّك الذي ميّزها على مدار أكثر من عقد من الزمن". ورأى ميليشتاين أنه يجب الابتعاد عن طريقة التعامل الواعية مع الأوهام وخلق العناوين، ويقول إن آخر سلوك كهذا كان محاولة نقل الرئيس الأسد إلى المحور العربي المعتدل، وبذلك يتم زرع الفتنة في محور المقاومة، مُعتبراً أن زلزال سوريا يدفع إلى طرح أفكار جديدة بشأن الحاجة إلى دعم جزء من تنظيمات المتمرّدين، وهي فكرة تُذكّر بتاريخ مرير ومنسي، حاولت

فيه إسرائيل صوغ أنظمة حكم في المنطقة، ويمكن أن تكون مغامرة خطرة تتطور في اتجاهات متعدّدة، في الوقت الذي لا تزال إسرائيل تتعامل مع جبهات مفتوحة في غزة ولبنان، وعليها التركيز على إيران. ويختم الباحث مُحذّراً من أنه "قبل أن تتطوّر أفكار اليوتوبيا بشأن بناء "شرق أوسط جديد"، يتوجّب على متّخذي القرار وغيرهم ممّن يعملون على فهم الواقع، أن يتزوّدوا بعدّة قِيَم أساسية: الحذر، والتواضع، والسعي الدائم لفهم الشرق الأوسط في العمق؛ وهو ما لا يمكن أن يحدث من دون فهم المميّزات الثقافية ولغة أبناء المنطقة. هذه الخلاصة ضرورية لكلّ المجتمع الإسرائيلي. وهو ما تمّ تهميشه، بالضبط مثلما حدث بعد حرب 1973".

3 – مخاطر الهزّات الارتدادية:

يُحذّر باحثان إسرائيليان تل أبيب والمنطقة من أن زلزال سوريا ما زال يقذف بالحمم، ومن شأن الهزّات الارتدادية الدفع نحو مفاجآت درامية إضافية. والباحثان هما رئيس الاستخبارات العسكرية الأسبق، الجنرال في الاحتياط عاموس يادلين، والباحث الجنرال في الاحتياط أودي أفينتال، في مقال مشترك نشَره موقع القناة 12 العبرية. وقد رأى الباحثان أن "الأحداث التاريخية في سوريا قد تصبح أخباراً جيّدة لإسرائيل. ففكرة "سوار النار" الإيرانية حول إسرائيل، انهارت فعلياً، ومعها النظام السوري، الذي شكّل عنصراً رابطاً في محور الوكلاء الذي بنَته طهران على مدار عقود، بعد بذل جهود هائلة". والآن، كما يقول يادلين وأفينتال، " قد تتطوّر في سوريا سيناريوهات مختلفة، إيجابية أو سلبية، بدرجات متفاوتة، بالنسبة إلى إسرائيل. وإلى أن تتّضح الصورة، لا ينبغي لإسرائيل التدخّل بشكل مباشر في التطورات السورية، باستثناء مواجهة التهديدات الكبيرة المحتملة، وتصميم الدفاعات على الحدود، وتحديد "قواعد اللعبة" مع الجيران الجدد، والتركيز على تهيئة الأرضية للفرص الكبيرة المطروحة على الطاولة، ومنها أنه سيكون على إسرائيل إعادة إحياء علاقات "حسن الجوار" مع الجهات السنيّة المحليّة على الجانب الآخر من الحدود، وتعزيز الشركاء المعتدلين في سوريا، وعلى رأسهم الطائفتان الدرزية والأكراد" . وطبقاً للباحثين، فإن هذا الانهيار السريع للنظام السوري يمثّل حدثاً دراماتيكياً آخر، ربما لن يكون الأخير في سلسلة الخضّات والهزّات الاستراتيجية في الشرق الأوسط منذ 7 تشرين الأول/أكتوبر العام ٢٠٢٣. وتابع الباحثان بالقول: لقد "تغيّرت المنطقة التي كنّا نعرفها بشكل جذري، وبصورة خاصة في الأشهر الأخيرة، نتيجة الضربة القاسية التي تعرّضت لها حركة "حماس" في غزة، والضربة التي تلقّاها "حزب الله" في لبنان، ومعرفة إيران بالثمن الباهظ الذي قد تدفعه إذا ما عادت إلى مهاجمة إسرائيل. أمّا الآن، بعد أن وصلت تداعيات الزلزال

إلى سوريا، مع انهيار النظام الذي تبيّن أنه أضعف عسكرياً وأكثر خواءً من الناحية المعنوية ممّا كنّا نعتقد، فقد انتهى الحكم العسكري الذي أسّسه حافظ الأسد رسمياً قبل 54 عاماً". وبالنسبة للباحثين الإسرائيليين، يشكّل سقوط النظام في سوريا "ضربة إضافية ساحقة" لمحور المقاومة الإقليمي بقيادة إيران، ويحطّم الفكرة الاستراتيجية التي وضعها (الشهيد القائد) قاسم سليماني، بمساعدة (الشهيد القائد سماحة السيّد) حسن نصر الله، و(الحاج الشهيد السيّد) محسن شكر، و(الشهيد) يحيى السنوار، والمتمثّلة في إحاطة إسرائيل بـ"سوار النار" واستنزافها عبر توحيد ساحات القتال، حتى تدميرها. ويقولان: " إنه بعد سلسلة الضربات التي تلقّتها إيران ومنظومة وكلائها في المنطقة، خسر المحور الآن ساحة أخرى ذات أهمية جغرافية ولوجستية واستراتيجية حاسمة، بالنسبة إلى إيران، باعتبارها امتداداً جغرافياً يصلها بالبحر المتوسط، وجبهة مباشرة ضدّ إسرائيل، وممراً ضرورياً لإعادة بناء القوّة العسكرية لحزب الله في لبنان." وطبقاً للباحثين الإسرائيليين، فإنه " في المدى القريب، هذه الأخبار جيّدة بالنسبة إلى إسرائيل. أمّا في المدى البعيد، فقد يفرض الواقع الجديد في سوريا تحدّيات كبيرة أمامنا". ويعلّل يادلين وأفينتال قراءتهما بالقول: "تطغى الفرص الكامنة في انهيار النظام السوري، من حيث المصالح الاستراتيجية الإسرائيلية، على مخاطر هذا الانهيار. فمع سيطرة المتمرّدين، تم فعلياً قطع المحاور البريّة والجويّة الواصلة بين إيران وسوريا، وصولاً إلى لبنان. وفي هذا السياق، من المتوقّع أن يتوقف مسار إعادة ترميم حزب الله عسكرياً، بعد الحرب مع إسرائيل، وستُضطر قدراته المتبقية إلى التوجه نحو مواجهة التهديد السنّي القادم من سوريا وحماية نفسه داخلياً. وفي ظل هذه الظروف، تزداد احتمالية أن يساهم الاتفاق، الذي تمّ التوصل إليه مؤخراً مع لبنان، في كبح جماح حزب الله في المدى الطويل، وتتوسع حريّة إسرائيل في فرض تنفيذه . ويعتقد الباحثان أن هذه الظروف مواتية للرئيس الأميركي دونالد ترامب في الشرق الأوسط، إذا ما قرّر محاولة تشكيل المنطقة، بدلاً من الانفصال عنها، وأنه على المستوى الأبعد، يمكن ترسيم بضعة سيناريوهات متعلقة بسوريا كما يأتي:

سيناريو متفائل، يتمثّل في نجاح المتمرّدين في استقرار الدولة، مع الحفاظ على استمرار وجود الحكم الذاتي الطائفي داخل حدودها. ويشيران لوجود إشارات إيجابية أوليّة في هذا الاتجاه؛ فـ "هناك النهج المرن والدهاء السياسي الذي تبنّاه المتمرّدون، وهو ما مكّنهم من السيطرة على الدولة من دون مقاومة تُذكر؛ وهناك تجنُّبهم، حتى الآن، "حمّام دم"، أو أعمالاً وحشية قاسية، مثلما فعل تنظيم "داعش" في السابق. ويعتبران أن هذا السيناريو سيُتيح أيضاً بدء تدفّق المساعدات وإعادة إعمار سوريا، بعد الأضرار التي بلغت عشرات مليارات الدولارات في

بُنيتها التحتية واقتصادها المتدهور. ويشير الباحثان لسيناريو ليبي يتمثل في فقدان الجولاني السيطرة على تحالف المتمرّدين، وهو ما يؤدّي إلى تفكُّكه، فتبدأ الفصائل والطوائف المتعددة في سوريا بفرض قوانينها الخاصة، وتشن حملات انتقام دموية، وتتصارع في ما بينها. ويمضيان في توضيح هذا السيناريو بالقول: "قد يحاول المتمرّدون إقامة دولة إسلامية في سوريا تستند إلى الشريعة، على غرار طالبان في أفغانستان، أو بشكل أقل تطرّفاً، استناداً إلى أيديولوجيا حركة "الإخوان المسلمين"، التي كان لها نفوذ واسع في سوريا سابقاً. وفي ظل هذا السيناريو، من المحتمل أن تدعم تركيا النظام الجديد، وهو ما قد يشكّل تهديداً للأردن، وإسرائيل، واستقرار لبنان، ويزيد من التحديات الداخلية في دول الخليج. "

4 – ما هو مخطّط "إسرائيل" لسوريا؟

رداً على هذا السؤال يقول الباحثان الإسرائيليان: "ما دام الوضع في سوريا لم يستقر بعد، ولم يتّضح السيناريو (أو خليط السيناريوهات) قيد التشّكل هناك، فعلى إسرائيل تجنُّب التدخل المباشر، باستثناء مواجهة التهديدات الكبيرة المحتملة، ومنع استيلاء الجهات الجهادية على قدرات عسكرية لا ينبغي السماح لها بالسيطرة عليها، والعمل على بناء الدفاعات على الحدود، وترسيم "قواعد اللعبة" مع القوى الجديدة في سوريا. ويتابعان: "على المستوى المباشر، بدأت إسرائيل فعلاً بتعزيز دفاعاتها الحدودية مع سوريا، والحفاظ على المنطقة العازلة نظيفة من قوّات الجيش هو بمثابة درس مهم مُستقى من ترسّخ قوّات النخبة والرضوان على حدودنا في غزة والشمال على مدار السنوات الماضية. وبرغم الحاجة لمواجهة المواد الكيميائية الحربية في سوريا، فإنه لا ينبغي المبالغة في التهديد الذي تشكّله على إسرائيل. فقد تمّ تدمير معظم مخزون الأسلحة الكيميائية، أو إخراجها من سوريا، في سنة 2013، وقدرة المتمرّدين على استخدامها محدودة. "

ويعكس الباحثان الإسرائيليان حلماً إسرائيلياً قديماً بتقسيم سوريا منذ مطلع الثمانينيات وفقاً لخطة المفكّر الاستراتيجي الإسرائيلي عوديد ينون، مستشار شارون سابقاً، فيقولان إنه يجب على إسرائيل، برأيهما، إعادة إحياء علاقات "حُسن الجوار" مع الجهات السنيّة المحليّة على الجانب الآخر من الحدود (مثلما جرى في ذروة الحرب الأهلية السورية خلال العقد الماضي وحتى صيف 2018)، وتعزيز الشركاء المعتدلين في سوريا، وعلى رأسهم الطائفة الدرزية والأكراد. وفي ما يتعلق بسوريا نفسها، فإن لإسرائيل مصلحة في نشوء فيدرالية، أو كونفدرالية تكون أطرافها متوازنة في ما بينها: الأكراد في الشمال، تحت رعاية الولايات المتحدة؛ السنّة في الشمال

الغربي والوسط، تحت رعاية تركيا؛ العلويون في منطقة الساحل تحت رعاية روسيا؛ والدروز والسنّة المعتدلون في الجنوب بارتباط قوي مع الأردن، وبرعاية إسرائيلية– أميركية. " وفي هذا السياق، مثّل الانهيار السريع للنظام السوري حدَثاً دراماتيكياً آخر، ربما لن يكون الأخير في سلسلة الخضّات والهزّات الاستراتيجية في الشرق الأوسط منذ 7 أكتوبر ٢٠٢٣ . بالإضافة إلى ذلك، يرى الباحثان أنه على إسرائيل وضع خطة شاملة للتعاون ودعم حليفها الأردني واستقرار الحكم في عمّان، في ظلّ الهزّات التي تشهدها سوريا، والتي قد تمتد إلى داخل حدود المملكة. ويعلّلان مخاوفهما من هزّات الزلزال السوري وبلوغها الأردن بالقول: " يُعدّ أمن حدود الأردن ذا أهمية كبيرة في منع تدفّق الأسلحة والذخيرة إلى الضفة الغربية". ويعتقدان أنه على المستوى الاستراتيجي، وبعد الضربات التي تلقّاها محور المقاومة، يجب على إسرائيل استغلال ضعف "حماس" وازدياد عزلتها لتحقيق أولويتها العليا التي تتصدّر الأجندة الوطنية، وهي استعادة جميع المختطفين في أسرع وقت ممكن، عبر صفقة مناسبة. ويقولان إن إنهاء الحرب في غزة، بعد فترة طويلة، يصبّ في مصلحة إسرائيل الاستراتيجية الأوسع في المنطقة؛ وهذا سيُمكّنها من "تنظيف الطاولة"، استعداداً لدخول الرئيس ترامب إلى البيت الأبيض، وتركيز الحوار معه على مواجهة التهديد الأكثر أهميةً بالنسبة إلينا، وهو برنامج إيران النووي. ويُتابعان: "يبدو أننا ندخل فترة حسّاسة في مسألة البرنامج النووي الإيراني، بعد أن فقدت إيران أهم أدوات الردع والتأثير الرئيسة في الساحة الإقليمية، وقد تسعى لتعويض ذلك من خلال الساحة النووية. وبالتالي سيتعيّن على إسرائيل تذكير ترامب بأنه من دون تهديد عسكري موثوق به تجاه إيران، فإن الضغوط الاقتصادية على طهران لن تنجح، مثلما حدَث خلال ولايته الأولى. " ويرجّح الباحثان الإسرائيليان أن انهيار النظام السوري يخلق ظروفاً أكثر ملاءمةً أيضاً في سياق التطبيع، حيث يخشى قادة الدول العربية من أن الأحداث الدراماتيكية في سورية قد تُلهم "الإخوان المسلمين"، فيرفعون رؤوسهم داخل دولهم وتهديد أنظمتهم، وضمن مزاعمهم المرتبطة بحسابات الربح والخسارة. يُضيفان: "في ظل هذه الظروف، تزداد "أسهم" إسرائيل وقيمتها، وكذلك الاهتمام بتحالفات إقليمية تحقّق الاستقرار. هذه القضية الإضافية يجب على إسرائيل أن تسعى لتحقيق أقصى قدر من التنسيق بشأنها مع إدارة ترامب، بهدف الدفع بنظام إقليمي جديد في الشرق الأوسط". ويخلصان للقول :"أخيراً، يتوجب على إسرائيل أن تتوقّع مزيداً من المفاجآت. فنحن لا نزال في خضم زلزال إقليمي، ويجب علينا الاستعداد لـ"هزّات ارتدادية" وصدمات إضافية، ليس فقط في الدول العربية المعتدلة، بل أيضاً في إيران، حيث النظام مكروه من أغلبية

الشعب، ويعيش حالة ضعف؛ وفي لبنان، حيث يمكن أن تعود مسألة نزع سلاح "حزب الله" إلى الواجهة مجدّداً، بعد الكارثة التي وقعت في لبنان".

5 – ملابسات وتداعيات:

تواصل الأوساط المختلفة في الكيان الإسرائيلي محاولات فهم أسباب وملابسات وتداعيات الزلزال الكبير في سوريا، واستشراف تبعاته وانعكاساته المستقبلية على الدول المجاورة والمنطقة والصراع الدائر فيها، فيما يستعد الكيان لالتهام المزيد من أراضي الجولان. وفي أول رد فعل على أرض الواقع، قام جيش الاحتلال بقصف مطارات وقواعد عسكرية استراتيجية سورية ضمن إجراءات احترازية "لمنع سقوط أي سلاح كاسر للتوازن بيد الثوّار"، وباحتلال قمم جديدة من جبل الشيخ السوري. وضمن الأسئلة الإسرائيلية الملحّة؛ هل ينجح قادة المعارضة في التوافق على حكومة مؤقّتة برعاية عربية أو أممية؟ وهل تبقى "إسرائيل" مستفيدة من سقوط الأسد في المدى البعيد؟.

وفق تصريحات سياسية وتسريبات إعلامية، سيُواصل جيش الاحتلال قضم المزيد من المناطق الحدودية في الجولان التي عرّفتها اتفاقية وقف إطلاق النار عام 1974، وتوسيعها بعرض عدّة كيلومترات.

رسمياً، تدّعي "إسرائيل"، مُبرّرة قرار الكابينت، بأن احتلال هذه المناطق السورية، ومناطق الحرام، جاء لمنع دخول الثوّار والجهاديين مستوطنات الجولان، كواحدة من دروس مفاجأة السابع من أكتوبر. لكن هناك غاية غير معلنة تكمن بالطمع في الاستيلاء على أراضٍ سورية جديدة تمتاز بقيمة استراتيجية عسكرية واقتصادية وسياحية كبرى. وفي "إسرائيل"، تُبدي أوساط رسمية وغير رسمية مشاعر تشفٍّ وشماتة بنظام الأسد بسبب علاقته مع محور المقاومة والسماح لإيران ببناء نفوذ في الأراضي السورية، واستخدامها همزة وصل لإيصال الأسلحة والدعم لـ "حزب الله" في لبنان؛ وينعكس ذلك في عناوين صارخة في معظم الصحف العبرية غداة يوم سقوط الأسد. ويبرز ذلك في صحيفة "يديعوت أحرونوت" التي تنشر على صفحتها الأولى صورة كبرى لأوراق دومينو، وفي مقدّمتها يبدو الأسد، ومن خَلْفه السنوار، ونصر الله، والضيف، وهنيّة، في حالة تهاوٍ متتالٍ، وفي أسفله عنوان بالأحمر: "نهاية عصر الجزّار من دمشق". وهكذا هو أيضاً كاريكاتير صحيفة "هآرتس"، وفيه يبدو المُرشد الإيراني الأعلى السيد الخامنئي أمام التلفزيون وهو يقول: "راحت حماس، وراح حزب الله، وسوريا راحت"، ويردّ عليه أحد قادة إيران مُعقّباً: "بقينا مع الحوثيين". وفي المقابل، تختار صحيفة "هآرتس"، بأسلوبها

المعهود، عنواناً هادئاً مفاده: "نهاية حكم الأسد"؛ وهي الأخرى كبقيّة أوساط المراقبين والمحلّلين، تنشغل أولاً في سؤال الماضي، ومحاولة فهم وهضم كيف ولماذا حصل هذا السقوط السريع للأسد. ويتبنّى المعلّق السياسي في صحيفة "يديعوت أحرونوت" ناحوم بارنياع الفكرة بأن السقوط بدأ قبل سنوات كثيرة ضمن مسيرة أو صيرورة، ولذا يُسمّيها "الثورة السريّة". ويقول إن السقوط جاء نتيجة أن هيكل الدولة السورية كان ينخره الفساد، ولأنه لم يجد من يساعده في لحظة الحقيقة. ويشير بارنياع إلى أنه تحدّثَ للسفير الإسرائيلي السابق في واشنطن، وهو مُحاضِر وباحث في جامعة تل أبيب مختص بالشؤون السورية، فقال السفير: "نعم، فوجئت من اندفاعة المتمرّدين، ومن نجاحهم الفوري، ومن سرعة انهيار النظام. ففي عام 2015، أنقذت إيران وروسيا و"حزب الله" النظام. لكن هذه المرّة لا. هكذا سقطت، وبسرعة، دول شرق أوروبا بعد نهاية الحرب الباردة. والنظام يسقط بسرعة عندما تكون الدولة فاشلة... والأسد قبل ذلك نجا في الحرب الأهلية، ولم ينتصر فيها". واستمراراً لهذا الفهم، يرى زميله في الصحيفة نفسها، المعلّق السياسي آفي سخاروف، أن هذا السقوط المدوّي هو "تأثير الفراشة"؛ أي أن تغييراً طفيفاً في الظروف يؤدّي إلى تغيير كبير في النتيجة، مُستعيراً بذلك مصطلحاً من الفيزياء ولغة الأدب؛ فيدّعي أن مسيرة السقوط بدأت في السابع من أكتوبر، عندما فرَض يحيى السنوار بكلتي يديه ضربة هي الأصعب على محور المقاومة، انتهت حالياً بانقلاب على الأسد، وتفكّك عسكري في "حزب الله"، فيما تبدو إيران مكشوفة لضرب منشآتها النووية الآن".

من جانب آخر، رأى المحلّل العسكري في صحيفة "هآرتس" عاموس هارئيل، أن الحدَث التاريخي الجلَل هو نتيجة عدّة عوامل، منها ما هو عميق، ومنها ما هو فوري، ومنها ما يرتبط بسوريا ونظامها وثورتها منذ عام 2011، ومنها ما له علاقة بمحور المقاومة، وتراجع قوّة إيران وروسيا. ويضيف هارئيل أن السقوط جاء بالتدريج ثمّ بضربة خاطفة... حيث تمّ الانهيار في غضون سنوات، وخلال عشرة أيام. وفي المقابل، يقول محرّر الشؤون الاقتصادية في صحيفة "يديعوت أحرونوت" تسفيكا بلوتسكر، إنه بعدما "أدارت طهران ظهرها هذه المرّة للأسد، ربما تتّجه الآن للداخل لإنقاذ اقتصادها، بدَلاً من الانخراط في حروب مُكلفة من شأنها الانتهاء بهزيمة."

6 – فرح وهواجس:

في مقابل الفرح والنشوة والإحساس بالانتصار، تتفاعل في "إسرائيل" مخاوف وتوجّسات من المستقبل. فضمن قراءة دلالة الأحداث الدراماتيكية في دمشق، يرى عاموس هارئيل أن ضربة محور إيران بالنسبة لإسرائيل هي

بشرى سارّة دون شك، لكنها ستُنبت مصاعب جديدة من جهة منظّمات المتمرّدين، لأن أحداً لا يعرف كيف ستكون وجهتها. وفي ما يتعلق بالتبعات على الداخل الإسرائيلي، يُعرب هارئيل عن مخاوف أوساط إسرائيلية أخرى من أن يستغل نتنياهو أحداث سوريا للتهرّب من محاولات الدفع نحو صفقة تبادل مع "حماس". ويوجّه محلّل الشؤون الاستخباراتية في صحيفتي "نيويورك تايمز" و"يديعوت أحرونوت" رونين بيرغمان تساؤلات وانتقادات حول فشل الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية في توقّع السقوط السريع لبشّار الأسد، مُشيراً إلى العجز عن قراءة الصيرورات مقابل النجاحات في كشف أسرار عملياتية عينيّة لضرب قاعدة عسكرية أو مخزن صواريخ أو اغتيال شخص ما.. إلخ. ويقول بيرغمان إن خطّة الضربات العشر التي وجّهتها الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية ضدّ محور المقاومة ستشكّل موضوعاً سيُدَرّس في الكليّات العسكرية في العالم. لكن الفشل في استشراف هجمة المتمرّدين ونجاحاتهم الزاهرة وسقوط الأسد إخفاق خطير. ويضيف: "فوّتت إسرائيل حدَثاً استراتيجياً جوهرياً؛ وحقيقة أن الحدَث التاريخي فاجأ أيضاً إيران وحزب الله والأسد نفسه ليس عزاءً لنا. ومن حظّنا أن ذلك حدَث الآن، وليس بعدما قمنا بوضع مسؤولية منع دخول سلاح إيراني إلى المنطقة بيد الأسد الذي انهار خلال 11 يوماً."

7- خاتمة:

لا توجد هناك أيّة سابقة في أيّ عمل عُنفي من قِبل الجماعات الجهاديّة المتطرّفة («داعش» و«القاعدة» بأشكالها المختلفة، ومنها جبهة النصرة أو هيئة تحرير الشام) ضدّ أهداف إسرائيليّة. بل إن هذه الجماعات المسلّحة تخصّصت في قتْل المسلمين والغربيّين. وهناك تاريخ من التعاون بين العدوّ وهذه الجماعات. و"إسرائيل" نفسها اعترفت بأنّها آوَت وطَبّبت مقاتلي فصائل سوريّة، من أبرزها جبهة النصرة. كما أنّ اللّوبي الإسرائيلي في أميركا ضغَط على الحكومة الإسرائيليّة من أجل التحالف (في زمن أوباما) بين الحكومة و"القاعدة" في سوريا بأسمائها المختلفة. والجدير بالذكر انه بعد ساعات فقط من انتصار قوى «الثورة» أو هيئة تحرير الشام، أعلنت الحكومة البريطانيّة أنّها ستُعيد النظر في تصنيف الهيئة كمنظّمة إرهابيّة. وبعدها بساعات، أعلنت الحكومة الأميركيّة الأمرَ نفسه؛ وهذا غير مألوف، لأنّ أميركا لا تُسامح أبداً مَن قاتل قوّاتها. وهي تحمل ضغينة ضدّ حزب الله لأنّه قاتلها وقتلها في عامَي 1983 و1984، فيما هي اعتقلت الجولاني في العراق لأنّه – بحسب الزعم الأميركي ونظريّة المؤامرة تصلح هنا أيضاً– قاتلَ قوّات الاحتلال الأميركي في العراق. واللّوبي الإسرائيلي

في واشنطن هو الذي يقرّر تصنيف الحركات الإرهابيّة وفرْض عقوبات على شخصيّات ومنظّمات (حتى تلك التي تتعلّق بالفساد). إنّ قراراً مِن هذا النوع (بِرفْع الاسم من قوائم الإرهاب) يكون دائماً متعلّقاً بتغيير موقف من "إسرائيل". الحكومة الأميركيّة لم تُزِل اسم السودان عن القائمة إلّا بعدما وعَدت الطغمةُ الحاكمة فيه بالمضي في التطبيع مع "إسرائيل". وعقوبات «قيصر» على سوريا ليست إلّا السيف المسْلَط في انتظار حصول التطبيع. والحجم الكبير للضربات الإسرائيليّة المتعدّدة ضدّ أكثر من 350 هدفاً استراتيجياً سورياً والتدمير المنهجيّ للقوّات المسلّحة السوريّة، إضافة إلى احتلال أراضٍ سوريةٍ جديدة، لا يمكن أن يحدث من دون تنسيق منتظم بين الحكومة الأصولية الجديدة وبين العدوّ، وهي لم تُصدر أيّة إدانة أو استنكار للقصف الإسرائيلي الممنهج أو احتلال أراضٍ سورية. بل على العكس: الجولاني وصف حرب الإبادة في غزة بأنّها «حرب إيران على المنطقة». أخيراً، وباختصار، وبعد الانشغال بأسئلة كثيرة وصعبة عمّا حصل في سوريا، وما تمّ توقّعه وما لم يتم توقّعه، تنشغل الأوساط البحثية الإسرائيلية وغير الاسرائيلية بأسئلة المستقبل، والأهم منها: هل تبدأ الآن فترة الفوضى المضرّة، أم ولادة نظام حكم جديد يكون هو الآخر مُعادياً لإسرائيل؟ أم ستبدأ مرحلة "شرق أوسط جديد" ذي صبغة صهيونية عبر طرح التطبيع الشامل مع كيان الاحتلال وانخراطه العضوي في المنطقة العربية؟